

مسألة فلسفة إدغار موران اللادينية

Questioning Atheistic Philosophy of Edgar Morin

عادل بويحي^{1*}،

¹ جامعة الحاج لخضر باتنة (الجزائر)، adelbouyahia1978@Gmail.com

Adel Bouyahia^{1*}

¹ University of elhajj Lakhdar Batna (Algeria)

تاريخ النشر: 2023/01/25

تاريخ القبول: 2022/10/26

تاريخ الاستلام: 2022/02/10

ملخص:

اشتغل الفيلسوف الفرنسي المعاصر ادغار موران، على مشروع فلسفي إبستمولوجي، ويتعلق الأمر بإبستمولوجيا التعقيد، والذي يرمي من خلاله اصلاح الفكر وذلك بالانتقال إلى التفكير وفق مقولات هذه الأبستمولوجيا، لذلك اتسم فكره بالتركيب وهو ما نلمسه من خلال العلاقة بين هذا المشروع الفلسفي وغيره من المواقف الفلسفية التي يتبناها، منها موقفه من الدين وأصل الوجود، لذلك تناولت هذه الورقة البحثية سؤال الوجود والأصل لدى ادغار موران، وهو السؤال الذي يترجم موقفه من الدين والإيمان في وجود الله، حيث ترمي إلى الوقوف على ذلك الارتباط بين موقف موران من الدين والإيمان، وقبل ذلك موقفه من أصل الوجود، ومشروعه الأبستمولوجي، وهذا من خلال ذلك التعالق بين مقولة العلية اللاخطية والانتظام الذاتي من جهة، وموقفه الإلحادي أو بالأحرى فلسفته اللادينية من جهة أخرى، وفي الوقت ذاته بينها وبين التزعة التطورية.

الكلمات المفتاحية: الإبستمولوجيا؛ التعقيد؛ الوجود؛ الدين؛ التطورية.

Abstract:

The contemporary French philosopher Edgar Moran has worked, on a philosophical epistemology project, it is about the epistemology of complexity which he aims to reform thought by moving to thinking according to the categories of this epistemology; therefore, Moran's thought itself was characterized by composition, which is what we see through the relationship between this philosophical project and other philosophical positions that he adopts, including his position on religion and the origin of existence, so this research paper deals with the question of existence and origin for Edgar Moran, and it is the question that translates his position on religion and belief in the existence of God, since it aims to identify that link between Moran's position on religion and faith, and before that his position on the origin of existence, and his epistemology project, and this is through the correlation between non-linear causality and self-order on the one hand, and his atheistic stance or rather his irreligious philosophy on the other hand, and at the same time between it and between the evolutionary tendency.

Keywords: epistemology; complexity; existence; religion; evolutionary.

1. مقدمة

يستهل إدغار موران (Edgar Morin 1921) واحداً من أهم مؤلفاته، ألا وهو "إنسانية البشرية الهوية البشرية" بسؤاله: من نحن؟ ومن أين أتينا؟، حيث يعيد علينا من خلاله سؤال الوجود والأصل والغاية، وعلى الرغم من أن اهتمامه الجوهرى، انصب وتمحور حول التأسيس لمشروع أبستمولوجيا جديد، يتعلق الأمر بأبستمولوجيا التعقيد، يكون بديلاً لأبستمولوجيا التبسيط أو كما يعرفها موران براديغم البدهة والوضوح، يرمي من خلاله إصلاح الفكر وتجاوز التراكمات التي أفرزها هذا النموذج المعرفي، إلا أن القارئ لفلسفته، لا يمكنه أن يتجاوز ببساطة سؤال الأصل والوجود، أين يستشعر موقفه الأنطولوجي في ثنايا المشروع الأبستمولوجيا، بما يثير نوعاً من التداخل بين موقفه الأنطولوجي، ومن ثم موقفه من الدين والإيمان ومشروعه الأبستمولوجيا الذي ينظر له، إلى درجة يظهر فيها الفصل بينهما أمراً صعباً. ليكون موقفه من الدين والإيمان بوجود الله، أو بالأحرى فلسفته اللادينية واحدة من أبرز مواقف الفلسفة.

لذلك ارتأينا أن نجعل هذا الموقف محل مساءلة، بهدف الوقوف على حقيقة موقف موران من الدين ومن الاعتقاد في وجود الله، أو بالأحرى الخلفية البراديغمية لرؤيته الاحادية، وعلاقة هذا الموقف بأبستمولوجيا التعقيد، ومن ثم البحث في ما إذا كان موران، الذي يقدم مشروعاً أبستمولوجياً كبديل لأبستمولوجيا البدهة، قد تجاوز فعلاً هذا النموذج الأبستمولوجيا، أم أن فلسفته اللادينية مشبعة بروح أبستمولوجيا التبسيط. ف فيما تتجلى الفلسفة اللادينية لإدغار موران، ثم ماهي الخلفية الفكرية والبراديغمية التي صقلت موقفه هذا؟ وهل يمكن أن تكون رؤيته الاحادية امتداداً لتأثره براديغم البدهة والوضوح الذي ثار ضده؟

2. الفكر المركب بديل لأبستمولوجيا التبسيط

اشتغل موران منذ النصف الثاني من القرن الماضي بالتقريب على مشروعه الفلسفي الذي يعرف بأبستمولوجيا التعقيد، أو بالأحرى براديغم الفكر المركب، حيث يقدمه موران كبديل لأبستمولوجيا التبسيط، هذا النموذج الأبستمولوجي الذي يعود في أصوله إلى الفيلسوف الفرنسي روني ديكارت (René Descartes 1596-1650)، والذي صقل العقل العلمي والفلسفي منذ مطلع العصر الحديث حسب موران، حيث أضحى براديغم البدهة والوضوح هو النموذج الموجه للفكر الإنساني، بأبعاده القيمية والمعرفية، وهذا من خلال المقولات التي يركز عليها والتي هي على التوالي: الفصل والتفكيك، النظام والعلية الخطية الاختزال.

استطاع هذا البراديغم أن يدفع بالإنسان قدماً نحو التقدم والتطور، حيث قطع أشواطاً جد مهمة في مضمار المعرفة، غير أنه بالمقابل كان سبباً في مختلف الأزمات التي عاشها وما يزال يعيشها الإنسان، بالنظر إلى حجم التشوهات التي اعترت فكره، والتي انعكست على الواقع الذي يعيشه بأبعاده المختلفة. لذلك اعتقد موران أن "إصلاح الفكر مشكلة إنسانية وتاريخية هامة [حيث] لم يحدث في تاريخ البشرية أن كانت

مسؤوليات الفكر بهذا الثقل الذي صارت إليه اليوم" (موران، هل نسير الى الهاوية؟، 2012، صفحة 61) بسبب مآلات التفكير والاختزال التي تهيمن على نمط تفكير الانسان.

يؤسس ادغار موران هذا المشروع الأبيستمولوجيا على جملة من المقولات التي تتجاوز مقولات أبستمولوجيا التبسيط حسب، وهي على التوالي: الحوارية، الانتظام الذاتي والعلية اللاحطية، الهوليجرام. بهدف الانتقال من فكر اختزالي إلى فكر "لا يعزل الموضوع المراد دراسته، بل ينظر إليه من خلال علاقته البيئية والتنظيمية مع محيطه الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والطبيعي" (موران، هل نسير الى الهاوية؟، 2012، صفحة 60) دون أن يفهم من هذا أن الفكر المركب يستبعد الوضوح والدقة، بل هو فكر "لا يرفض إطلاقا الوضوح والثبات والحتمية، إلا أنه يعلم أنها غير كافية" (موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، 2004، صفحة 83) فكيف تعمل هذه المقولات التي يقوم عليها الفكر المركب يا ترى؟

2. 1. الحوارية:

تعد الحوارية كواحدة من أهم مقولات ابستيمولوجيا التعقيد، حيث تعمل على تجاوز منطق الاستبعاد والاقصاء، بسبب التنافر وما يحمله من مظاهر التناقض والتعارض والتضاد، بوصفها تؤسس للتعايش بين المفاهيم والكيانات المتعارضة. يقول عنها موران : إنها "وحدة معقدة بين منطقين وكيانين أو سلطتين متكاملتين ومتنافستين ومتعارضتين، يتغذى أحدهما على الآخر ويكملان بعضهما بعضا داخل وحدة عليا، في الحوارية تكون المتناقضات دائمة وتشكل كيانات أو ظواهر معقدة" (موران، النهج، انسانية البشرية الهوية البشرية، 2009، صفحة 304)، وهذا طبعا بما يتماشى مع الطبيعة المركبة للواقع وللطبيعة على وجه الخصوص. أي أن ابستيمولوجيا التعقيد ترمي من خلال هذه المقولة إلى التأسيس لعلوم ومعارف ومناهج تتوافق مع الطبيعة المركبة للواقع، بما يسمح للإنسان بأن يعيش ويفهم الواقع على طبيعته، ويتجاوز منطق الاختزال الذي جعله دوما في عناد مع الطبيعة، خاصة وأن الحوارية بين المتعارضات يغذي بعضها البعض. بما ينتج مفاهيم جديدة باستمرار ويضمن سيرورة تطويرية للفكر والواقع بوجه عام.

3. 2. العلية اللاحطية والانتظام الذاتي:

إن الطبيعة المعقدة للواقع تتعارض مع الاعتقاد في السببية الخطية حسب موران، التي ظلت تعتمد كواحدة من أهم آليات وأدوات التفكير منذ مطلع العصر الحديث، بوصفها واحدة من أهم مقولات ابستيمولوجيا التبسيط، دفعت الانسان إلى تفسير الطبيعة والواقع كما يراها، لا كما هي في الواقع، فنتج عناد بين طبيعة مركبة ورؤية إنسانية تبسيطية، وكأن الانسان يجبر الطبيعة على أن تتوافق مع رؤيته التبسيطية، الأمر الذي أفرز تراكمات جد خطيرة مع مرور الوقت، على الصعيد الإنساني والقيمي وخاصة البيئي.

لذلك يرى موران أن الحل يكمن في ضرورة الاعتقاد في علية مركبة هي العلية اللاحطية وما تحمله من تأثير ارتدادي بين العلل والمعلولات مشكلة حلقة دائرية، حيث تؤثر " (ب) في (ج) و (ج) عودا في (ب) أي أن العلة تؤثر في المعلول وهذا بدوره يؤثر في العلة" (موران، نحو براديغم جديد، 2009، صفحة 120)، ليكون بذلك الانتظام الذاتي نتاج للتأثير الارتدادي بين العلل والمعلولات، بما ينتج تفسيراً أكثر موضوعية للسيرورة التطورية على مستوى الواقع حسب موران، لأن الاعتقاد في العلية اللاحطية يمكننا من فهم الانتظام

الذاتي الذي يحكم الظواهر المختلفة، طبيعية كانت أو إنسانية، وإن كان وضوحها يكون أكثر على الصعيد الإنساني، فالمجتمع " ككلية منظمة يرتد لينتج الأفراد بواسطة التربية واللغة والمدرسة، بذلك فإن الأفراد يقومون في قلب تفاعلاتهم بإنتاج المجتمع الذي ينتج بدوره الأفراد الذين ينتجونهم" (موران، الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب، 2004، صفحة 87) وهو ما يدفع المجتمع لأن ينظم ذاتيا، وإذا أردنا شيئا من التفصيل فإننا نقول أن المجتمع هو نتاج للفكر البشري، والذي بدوره ينتجه المجتمع في حلقة دائرية من التأثير الارتدادي بين الفرد والمجتمع، ولكن داخل هذه الحلقة الدائرية يوجد تأثير ارتدادي أيضا على مستوى الفرد بين الفكر والدماغ، حيث ينبثق الفكر و"يتحقق من العلاقة دماغ — ثقافة، وما إن ينبثق الفكر حتى يرتد على الدماغ الذي انبثق منه ليحدد طريقة استعماله هناك إذا ثلوث دائري دماغ — ثقافة — فكر" (Morin, Les sept savoirs necessaires a l'education du futur, 1999, p. 26)، هذه المقولة ترتبط بدورها بوحدة من أهم مقولات هذه الاستيمولوجيا ويتعلق الامر بالهوليغرام.

2. 3. الهوليغرام:

الهوليغرام أو الشمولية تتجلى في صورة "تضم كل نقطة فيها مجمل المعلومات المتصلة بالشيء، ولا يعني المبدأ الشمولي أن الجزء داخل الكل فحسب، بل أن الكل داخل الجزء على نحو ما" (موران، النهج، انسانية البشرية الهوية البشرية، 2009، صفحة 350)، فالمجتمع الذي يمثل الكل بالنسبة للفرد يوجد داخل الفرد، بحكم أن الفرد يحمل في ذاته ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه، فالقوانين والعادات والتقاليد والصور التنظيمية التي تكون المجتمع توجد داخل الفرد، وهو الأمر نفسه الذي نلمسه حتى بالنسبة للتنظيمات الحية، حيث أن كل كائن حي يحمل "هذه الخاصية الجوهرية، حضور الكل داخل الجزء، فكل خلية تحمل مجموع الإرث الجيني للجهاز العضوي المتعدد الخلايا، وكل فرد يحمل مجموع المجتمع (معرفة، لغته واجباته وضوابطه)" (Morin, 1999, p. 16). يقدم موران هذه المقولات على أنها الأساس الذي يقوم عليه مشروع الفكر المركب والذي يراه بديلا مثلما سبق الإشارة —إبستيمولوجيا التبسيط، غير أننا نستحضرها في هذا الورقة البحثية، من أجل الوقوف على ذلك الارتباط بين لا دينية موران من جهة، ومقولات إبستيمولوجيا التعقيد من جهة أخرى، من منطلق أن الموقف من الدين والإيمان ووجود الله لدى موران، هي أفكار انبثقت وتبلورت وفقا للآلية التي تحكم انبثاق الأفكار، وهي بالطبع نتاج المقولات السالفة الذكر.

4. متزلة الدين والإيمان لدى موران بين الأسس الإبستيمولوجية والرؤية التاريخية

تعكس مقولات إبستيمولوجيا التعقيد الموقف الأنطولوجي لإدغار موران، وتحدد متزلة الدين لديه، إلى جانب كونها مشروعا يرمي لإصلاح الفكر، وتجاوز الرؤية الاختزالية التفكيكية التي تجذرت في النظام المعرفي بالنسبة للإنسان، فتفسيره للوجود بوجه عام ووجود الحياة والإنسان بوجه خاص، يرتبط ارتباطا وثيقا بهذه المقولات، بل أن هناك تأثير ارتدادي بين هذا التفسير وتشكل هذه المقولات ذاتها، وهو الأمر الذي صقل وبلور موقفه منه الدين، أو بالأحرى شكل موقفه اللائيني.

ففي الوقت الذي ارتكز مشروعه الاستيمولوجي على رؤيته الانطولوجية، صقل مشروعه الاستيمولوجي تلك الرؤية وأعطاهها بعدا منطقيا، أو بالأحرى أعطاهها متكأ إستيمولوجيا. لذلك نجد موقفه من الدين والاعتقاد في وجود الله والخلق، متضمنا على نحو ما في مشروعه الاستيمولوجيا، حيث تظهر فلسفته اللا دينية في وجهين وجه مضمّر عميق يقبع في ثنايا مشروعه الاستيمولوجيا، وآخر صريح يتجلى في مجاهرته بلاديّيته في أكثر من مناسبة.

يتحدث موران عن موقفه من الدين بصراحة في واحد من أهم الحوارات التي جمعتها —طارق رمضان قائلا: "سأخبركم الآن بموقفي من قضية الاعتقاد، أنا لا أؤمن بكائن مجسم اسمه الله كما لا أعتقد في وجود إله خلق هذا العالم" (موران و رمضان، خطورة الأفكار، 2016، صفحة 35) هذه الرؤية الإلحادية التي يجاهر بها موران هنا، أو بالأحرى هذه الرؤية للدين، مستوحاة من رؤيته للوجود، فاعتقاده بأنه لا يوجد خالق لهذا الوجود، أسقط لديه آليا الإيمان الديني. بل أنه يعتقد بأن موقفه الإلحادي هذا في حد ذاته يعد مجاهرة بإيمان، وكأنه يتزل الاعتقاد في الإلحاد منزلة الاعتقاد في وجود الله، أو أي دين من الأديان. فكيف يفسر موران الاعتقاد في وجود الله؟

يعتبر الدين في نظره نتاج سياقات تاريخية نشأ في ظلها، ولأن السياقات التاريخية متعددة ومتباينة أفضى ذلك إلى تعدد في الأديان، وهو ما يسقط عنها صفة المطلقية، يقول في هذا السياق: "توضع كل الأديان في سياقها التاريخي، وينظر إليها في إطار تعدد الأديان التي يزعم البعض أنها حقائق مطلقة" (موران و رمضان، 2016، صفحة 35) ولعل أن المتأمل لهذا النص يتبين أن موران يفسر وجود الدين تفسيراً تاريخانياً، بمعنى أن الدين يمثل جزءاً من الموروث الثقافي للإنسان، تبلور وتشكل في إطار زمكاني، ويشمل هذا الوصف مختلف الأديان بما في ذلك الإسلام في نظره الذي يعتبره "نشأ في بيئة يهودية — مسيحية ويكنسي طابعا قبليا" (موران و رمضان، 2016، صفحة 31) ولا ريب في أن هذه الرؤية تحمل بعدا نقدياً، فيها وجه من التشكيك في قدسية الدين ومطلقيته، والذي لا يمكن أن يفهم من هذا المنطلق إلا بوضعه في سياقه التاريخي، وهو السياق الذي يسحب المعتقدين فيه إلى ماضٍ سحيق فيعيشون حاضره بثقل الماضي.

أما عن دواعي وجوده، فهو يردّه إلى تطلع الإنسان إلى حياة أفضل، وذلك بسبب ما عاناه من تسلط وقهر وظلم، منذ ظهور المجتمعات التاريخية، حيث تجلت هذه الرغبة في صورة الجنة كما يصفها الإسلام والمسيحية واليهودية، مثلما تجلت في المشروع الإنساني الذي حملته الشيوعية، التي يصفها بأنها دين دون إله. فحرك هذا التطلع إلى حياة أفضل — وهو بمثابة الرغبة — النشاط العقلي للإنسان بما يشتمل عليه من ملكات، خاصة المخيلة وقياساً على قوى الظلم التي يتعرض لها، تبلور لديه اعتقاد في وجود قوة خيرة علق عليها آماله في الخلاص من الظلم وقوى الشر، وكان هذا الاعتقاد هو الاعتقاد في وجود الله، بمعنى أن الإيمان بالله ومن ثم بالخلق في نظره، لم يكن سوى فكرة من إنشاء العقل، لذلك تراه يستغرب في خضوع الإنسان المطلق لها، يقول في هذا السياق: "أجد أن الاعتقاد في وجود آلهة كنتاج للعقل البشري، والتي تأخذ شكل قوة خارقة ومتسامية حيث تأمرنا ونحن نطيعها، أمراً فريداً من نوعه... نحن الذين نتج هذه الكيانات

التي لا يمكن أن توجد دوننا، وعندما تفنى البشرية فلن يكون لهذه الآلهة وجوداً" (موران و رمضان، 2016، صفحة 41).

من هذا المنطلق يكون الدين والإيمان بالنسبة إليه شأن خاص، يخص الأفراد والجماعات، حيث يكون لأي كان أن ينكر وجود الله وأن يكون ملحدًا. دون أن يبرر له هذا معاداة الدين، كما أنه ينبغي أن لا يختزل الإلحاد في معاداة الدين، بل يجب التمييز في نظره بين "معاداة الدين، وبين الإلحاد المناضل والملتزم. مبدأ العلمانية" (موران و رمضان، خطورة الأفكار، 2016، صفحة 16) فأن يكون المرء ملحدًا حسب موران، لا يعني أنه معاد للدين بالضرورة. وفي الوقت ذاته مادام الدين والإيمان شأن خاص، يكون لأي كان أن يعتقد في ما يشاء ويؤمن بما يشاء، في المجتمع الذي ينتمي إليه ولكن دون أن يسمح للدين بأن يفرض منطقته في تسيير الشأن العام وبالمقابل يكون على الدولة أن تحترم الأديان وفق مبدأ العلمانية، الذي يقضي بالفصل بين الدين والدولة، يقول في هذا السياق مذكرًا بموقفه الإلحادي "أنا لم استطع الإيمان بالديانات السماوية ولا بوجود إله ولكن المؤكد هو أن المبدأ الذي يقضي بأن الدين شأن خاص، وأن الدولة تستمد مشروعيتها من المؤسسات التي تمثل السلطة السياسية المنتخبة ديمقراطيًا، هو مبدأ صحيح" (موران و رمضان، خطورة الأفكار، 2016، صفحة 15) فهو هنا ينكر وجود الله ويرفض الإيمان بالأديان السماوية، وفي الوقت ذاته يرفض ضمnia الرؤى التي تجعل من الدين منهلاً لتسيير شؤون الدولة، أو تلك التي ترمي إلى تأسيس دولة دينية، معتبرا إياه شأن يخص المتدينين كأفراد أو جماعات لا غير. فكيف تبلور انكار وجود الله لدى موران ورفض الأديان السماوية؟

5. لادينية موران بين التأصيل الكوني والتأصيل البيولوجي:

إن التأصيل لفلسفة موران اللادينية، يقتضي منا أن نبحث فيه من جانبيين، الأول يتعلق بسؤال الوجود لدى موران وعلاقته بأبستمولوجيا التعقيد، أما الثاني فيتعلق بمفهوم الإنسانية أو بالأحرى لغز الإنسانية من خلال هذه الأبستمولوجيا.

5. 1. سؤال الوجود:

لم تكن مقولات أبستمولوجيا التعقيد بعيدة عن صقل الموقف الديني لموران، مثلما لا يمكن تجاهل تأثير هذا الموقف الديني أو بالأحرى الموقف من الوجود في بلورة تلك المقولات، خاصة فكرة العلية اللاحظية الانتظام الذاتي، وذلك من خلال التأثير التبادلي والارتدادي بين لادينية موران ومقولات أبستمولوجيا التعقيد، بما يترجم البعد التركيبي في فكره.

ترتبط فلسفة موران في الدين والإيمان بسؤال الحياة والوجود بوجه عام، أين يستبعد فكرة الخلق كلية لصالح الانبثاق والنشوء الذاتي، الذي يتحقق وفق مبدأ الانتظام الذاتي، ولا ريب أن الدارس لفلسفته يقف على حقيقة مفادها أن موران قد أثار هذه القضية تقريبا في مختلف كتاباته سواء بطريقة مباشرة أو مضمرة، ولعل أن هذا يتجلى بشكل واضح من خلال السؤال الذي طرحه في مطلع كتابه "إنسانية البشرية الهوية البشرية" قائلا: "من نحن؟ هذا التساؤل غير منفصل عن أين نحن ومن أين أتينا؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟" ثم يضيف قائلا "لا تعني معرفة الإنسان فصله عن الكون بل تحديد موقعه فيه" (موران، النهج، انسانية

البشرية الهوية البشرية، 2009، صفحة 33) حيث يعود بنا من خلال هذه الأسئلة إلى سؤال الوجود والمصير والغاية، ولكن تحت غطاء ابستمولوجي جديد.

استثمر موران مقولة التنظيم الذاتي وبلاستناد إلى الرؤية التطورية في تفسير الوجود للإجابة على الأسئلة السالفة الذكر، غير أننا نقف على حقيقة مفادها أن ما يقدمه هذا الأخير مثلث الأرضية الفكرية التطورية التي استند إليها، تبقى رؤية مبنية على افتراضات تفتقر إلى الإثبات العلمي أكثر منها رؤية علمية، حيث تتطلب في الغالب التسليم بما من أجل البرهنة عليها في حلقة دائرية، يقول في هذا السياق في كتابه تربية المستقبل: "يرجح أن ذرات أجهزتنا العضوية ظهرت منذ الثواني الأولى لظهور الكون منذ ربما خمسة عشر مليار سنة، ثم تكونت ذراتنا الكربونية داخل شمس سابقة جدا في وجودها على شمسنا، ثم تجمعت جزئياتنا خلال الأزمنة الاحتلاجية الأولى للأرض، وتجمعت هذه الجزئيات الكبرى بدورها، داخل زوايا تحولت إحداها بفضل تنوعه وغناه الذري إلى نظام ذي طبيعة جديدة مقارنة مع النظام الكيميائي، لقد أصبح عبارة عن تنظيم ذاتي" (Morin, 1999, p. 24).

بصرف النظر عن التسلسل اللاهائي، الذي يضعنا فيه موران إذا ما أردنا أن نبحت عن منطلق أول أو بداية البداية، عند حديثه عن الذرات والشمس السابقة لشمسنا وما إلى ذلك من المفاهيم والتصورات، نجد أن التفسير الذي يقدمه على أنه تفسير علمي، يبقى مجرد افتراض تظهره المصطلحات التي استخدمها، من قبيل (يرجح، ربما، تكونت، تحولت أصبح...)، بل أن هذا يتناسب إلى حد كبير جدا مع وصفه للأسطورة العقلانية، أو أسطورة العلم، حيث يخرج التفسير من دائرة العلم إلى دائرة الإيديولوجيا.

يكون ذلك ظاهر في افتراضه لمسافة زمنية طويلة جدا لأجل تبرير التفسير الذي يقدمه للسؤال الذي طرحه من قبل "من أين أتينا؟" وذلك بالاستناد إلى الفرضية التطورية، حيث يقول: "لقد تشكل كوكبنا منذ خمس مليارات سنة، انطلاقا في الراجح من بقايا كونية ناتجة عن انفجار نجم شمسي سابق، ومنذ أربع مليارات سنة ولد التنظيم الحي في قلب زوايا ذرية كبرى حدثت في قلب الأعاصير والاختلاجات الأرضية، لقد وجدت الأرض وتنظمت ذاتيا في ارتباط قوي بالشمس، ثم تشكلت في شكل مركب جيوفيزيائي من اللحظة الأولى لظهور محيطها الحيوي" (Morin, 1999, p. 24).

من بين أهم العوائق الابستمولوجية التي يثيرها هذا النص، والذي يفسر من خلاله موران وجود كوكب الأرض والتنظيمات الحيوية، تلك التي تتعلق بعمر الأرض، وكذا أساليب قياس هذا العمر، وهي المشكلة ذاتها التي كانت تعترض التطورين في تفسيرهم لأصل الأنواع والوجود بوجه عام، حيث كان هؤلاء يستندون إلى تحليل اليورانيوم، وذلك "حتى يحتسب عمر الأرض بمليارات السنين، لذلك فإن هذا الأسلوب في القياس هو ما يستحسنه التطوريون بينما يتجاهلون أساليب أخرى، ذلك أن التطوريون يحتاجون إلى وجود هذا الماضي الجيولوجي الطويل لإثبات نظرية داروين" (ويلز، 2014، صفحة 19)، وهو ما يعني أن هذه المساحة الزمانية الطويلة جدا، ليست مثبتة علميا بقدر ما هي افتراض أملتة فرضية التطور ذاتها، فبدلا من أن تستند إلى أدلة علمية دقيقة، أضحت هي المبدأ الذي يضع الأدلة التي تتناسب معها، لأنه بعيدا عن افتراض

هذه المساحة الزمانية الطويلة، سوف لن تكون فرضية التطور التي يستند إليها موران ويتكئ عليها لتبرير فلسفته اللادينية وموقفه من وجود الله، سوى إيديولوجيا تفتقر إلى روح التفكير العلمي.

5. 2. لغز الإنسانية:

يستند موران في تفسير للأنسنة إلى التفسير التطوري، الذي ينظر للإنسان نظرة بيولوجية بحتة، حيث يعتقد بأن "جسدنا عبارة عن آلة مكونة من ثلاثين مليار خلية، يتحكم فيها وينتجها نظام جيني، تم تشكيله خلال تطور طبيعي طويل من 2 إلى 3 مليارات سنة، فالدماغ الذي نفكر به، والفم الذي نتحدث به، واليد التي نكتب بها هي أعضاء بيولوجية" (Morin, 1973, p. 19) وهو التفسير الذي يبرره في الوقت ذاته من خلال مقولة العلية اللاخطية والانتظام الذاتي، حيث يصف الأنسنة على أنها مغامرة تطورية، حين يقول: "في خضم ملحمة التطور بدأ فرع من صنف اللبائن قبل ستة ملايين عاما مغامرة جديدة، ألا وهي مغامرة الأنسنة التي أنتجت الإنسانية بعد أن أخذت تتسارع قبل مائتي ألف عام" (موران، 2009، صفحة 41)، لعل أن من بين الأدلة التي يستخدمها موران والزرعة التطورية بوجه عام، لتبرير فرضية المساحة الزمانية الطويلة التي يستند إليها في تفسير الوجود بوجه عام ووجود الإنسان بوجه خاص، وكذا تبرير فكرة النشوء الذاتي والارتقاء عبر الأنواع، تلك التي ترتبط بعالم المستحاثات من بقايا الأنواع الحيوانية، فقد جاء على لسانه أن تقنيات عديدة أظهرت "وجود رجال أستراليين قداماء مع أدواتهم في مناطق جافة، قبل مليونين أو ثلاث ملايين عام، مما دعم الفرضية التي تقضي بأن تطور انتصاب القامة واستخدام الأدوات كان ردا على تحد بيئي" (موران، 2009، صفحة 41)، وكأنه يريد أن يقول بأن بنية الإنسان التي هو عليها اليوم، لم تكن كذلك قبل ملايين السنين، وإنما هي صورة تطورية أملت الحاجة والظروف البيئية، فالحديث عن انتصاب القامة فيه إشارة إلى أنه مظهر اكتسبه من تحد للظروف الطبيعية، والتي تتلخص في حفظ البقاء، أي أن الإنسان هو صورة تطورية لنوع حيواني، لعله حسبه من نوع القرود، لذلك يعتقد بأن "إن مفتاح تشريح القرد يكمن في تشريح الإنسان لأن مفتاح تشريح الإنسان يكمن بدوره في تشريح القرد. لذلك يجب أن ينير الإنسان والقرد بعضهما البعض" (Morin, 1980, p. 200)، ولا ريب في أن هذا تجل واضح للزرعة التطورية في فلسفة موران، هذا التفسير الذي ينكر من خلاله مرة أخرى فكرة الخلق.

غير أننا عندما نتأمل هذا النص الذي يتحدث فيه عن العثور على رجال استراليين قداماء، كدليل عن الرؤية التطورية، نتبين أنه يتعارض مع طبيعة العمل التقني ذاته، والذي يقضي الدقة والضبط، ومن ثم يتعارض مع روح التفسير العلمي، وهذا على الأقل من جهتين: أولا افتراضه لمسافة زمانية تراوح بين مليونين وثلاث ملايين سنة، لا يمثل حقيقة علمية مضبوطة ودقيقة وإنما مجرد تقدير احتمالي بعيد عن الروح العلمية، خاصة وأن بين مليونين وثلاثة ملايين سنة، يوجد مليون سنة وهي مسافة زمانية هائلة، بنى عليها موران والعمل التقني الذي تحدث عنه، تقديره لتطور الإنسان إلى الصورة التي هو عليها الآن، لأن العلم وإن كان يقبل الاحتمال لا يكون بهذا المجال الواسع جدا.

ومن جهة ثانية، هي لا ترق لأن تكون دليلا علميا، على اعتبار أنها تقضي أولا التسليم بوجود التطور أي أنها تعتمد على التطور لتفسير ما عثر عليه من مستحاثات، ثم عده دليلا لوجود التطور ذاته، فهي

بذلك فرضية تضعنا في حلقة دائرية تقضي التسليم بالتطور كمبدأ لتفسير وجود هذه المستحاثات، ثم استخدامها في الوقت ذاته لإثبات أن التطور هو الذي يحكم وجود التنظيم الحي ونشوء الأنواع بما في ذلك الإنسان. هذا فضلا على أنه كان ينبغي أن تكون هناك أعداد لا حصر لها من المستحاثات التي تكشف عن الأشكال الانتقالية التي تعبر عن التطور والعتور على عينات تكشف سلسلة التطور من أشكال بدائية إلى أشكال متوسطة ثم متطورة، إلا أن هذا غير موجود واقعا.

زيادة على ذلك كشفت بعض التحقيقات والتقارير العلمية، تزييف الحقائق لأجل إثبات فكرة التطور خاصة تلك التي تتعلق بعالم الحفريات، فقد قام مثلا الانثروبولوجي الألماني "راينر بروتش" (Reiner Protsch 1939) بتزييف متعمد لتواريخ كثير من الفريات الإنسانية التي ترجع إلى العصر الحجري وعثر عليها في أوروبا [حيث] حيث قام بتحديد تاريخ الحفريات بأقدم من عمرها بآلاف السنين" (ويلزمان، 2013، صفحة 144).

على هذا الأساس يكون استناد موران إلى العتور على بقايا رجال أستراليين مع أدواقم لتبرير الصيرورة التطورية للأنسنة والتنظيم الحي بوجه عام، مهتز من الناحية العلمية، خاصة وأن فكرة التطور التي لا تخص الإنسان فقط، تطرح أيضا مشكلة أخرى تتعلق بنوع المستحاثات التي يعتمد عليها في تبرير التطور، "فمثلا نجد أن أعداد عينات حفريات اللافقاريات التي ليس لديها أي هيكل عظمية أو غضروفية قليلة جدا، ولا تكشف عن شيء واضح، كما أن عينات الفقاريات غير كافية لتفسير التغيرات في الكائنات على مدى الحياة" (ويلزمان، 2013، صفحة 193)، لذلك يلجأ التطوريون وكذلك موران، إلى الاعتماد على مفهوم تطوري آخر وهو الطفرة، أي الانتقال عبر الأنواع عن طريق الطفرات لسد ثغرة عدم وجود مستحاثات تدل على أشكال تطور متوسطة بين الأنواع.

تعتبر الطفرة عن ظهور تحول معين في نوع من الأنواع بشكل مفاجئ، لذلك هي لا تفسر بعلة معينة الأمر الذي يقتضي التسليم بها دون البحث في تفسير مبرر لها، ويلتقي هذا المفهوم مع فكرة الانبثاق الذاتي لدى ادغار موران، هذه الفكرة التي تمثل بالنسبة إليه مرجعا لتفسير وجود الأشياء والأنواع، مع العلم أنها فكرة تستبعد كلية العلل المباشرة، حيث كان يلجأ إليها موران لتفسير ما لا يمكن تفسيره عاليا، يقول في هذا السياق: "من الأرض فعلا انبثقت الحياة ومن الازدهار متعدد الأشكال حياة متعددة الخلايا انبثقت الحيوانية، ومن أحدث تطور لفرع من فروع العالم الحيواني تكون الإنسان" (موران، 2009، صفحة 38). قد يكون الانبثاق في عالم المعقولات أمرا مشروعا فقد تنبثق الأفكار وتومض المشاعر وما إلى ذلك من المجردات غير أن الانبثاق في عالم المادة والأنواع الحيوانية، والذي لا يمكن أن يفهم إلا من خلال مفهوم الطفرة، تعترضه عوائق إستيمولوجية.

فإذا كان الانبثاق المباشر والكلي للأنواع يمثل ضربا من الخرافة والأسطورة، فإن الانبثاق من خلال الطفرات هو الآخر يطرح جملة من المشكلات، منها ما يمكن أن يعتري الأنواع من تشوه في حال ظهور الطفرات المزعومة فلو افترضنا مثلا "صدق زعم تحول خياشم السمكة التي انتقلت من البحر إلى البر إلى رثتين، يكون من الضروري حدوث الكثير من التغيرات التي لا يمكن أن تحدث في نفس الوقت، مثل تحول

الزعانف إلى أقدام واختفاء قشر السمك وتمايز قوس القلب وشريان الأهر، وتغير أعضاء الإحساس والجهاز العصبي مع وضع المشي، حينها لن يكون تحول الخيشوم إلى رئة مفيدا بما فيه الكفاية، ويتسبب في الموت المحقق للحيوان"، (ويلزمان، 2013، صفحة 89) ولعل أن هذا التشوه يصيب أيضا الأعضاء التناسلية قبل أن تنتقل إلى صورتها المثالية التي تكون عند نوع ما كالنوع البشري، ما يؤثر على التبويض وإنتاج الحيوانات المنوية، وهو أمر يطرح من جهة أخرى مشكلة التكاثر واستمرار الأنواع، لذلك يكون انبثاق الأنواع وفق منطق الطفرات أمر يتعارض مع العلم فضلا عن تعارضه مع مقتضيات الواقع على اعتبار أن التطور والانتظام الذاتي وفقا لقاعدة الانتخاب الطبيعي، تقتضي اختفاء أنواع لصالح الأنواع الأفضل التي تطورت منها، إلا أن هناك ما يثبت بطلان ذلك في الواقع، فعلى الرغم من "أن النحل الطنان أقل موهبة من أقاربه إذا صح التعبير، فإنه مازال قادرا على النمو والتكاثر والبقاء بقدراته الفسيولوجية الحالية"، (ويلزمان، 2013، صفحة 70) دون أن ننسى أن بعض الأعضاء في الجسم كجسم الانسان، لا يمكن أن تكون لها فائدة إلا في صورتها التي هي عليها، مثل الكلى والعين وغيرهما من الأعضاء، مما يبطل فرضية انبثاقها وانتظامها ذاتيا وفقا لعلية مركبة لا خطية ومن ثم نشوئها عن طريق الانتخاب.

هذه العقبات والمشكلات التي تواجه التفسير التطوري، سواء على مستوى الانتقال النوعي عبر طفرات أو تلك التي ترتبط بالمصادقية العلمية التي يطرحها الاستناد إلى عالم الحفريات والمستحثات، هي التي وضعت موران موضع المتردد في فلسفته اللائينية، حيث لجأ إلى الاعتقاد في وجود "قوة خلاقة توجد في العالم أو في الطبيعة" (موران و رمضان، 2016، صفحة 35)، تكون مسؤولة عن مظاهر التطور التي تكشف عنها الطبيعة، خاصة ما تعلق بظواهر الكائنات الحية، تجاوزا للعقبات السالفة الذكر، بل أنه يذهب إلى أبعد من هذا حينما يقول: "أن هذه القوة الخلاقة هي المسؤولة عن التطور البيولوجي وأن هناك سر ما يحكم هذا الكون والواقع وظهور الانسان وتاريخ الحياة"، (موران و رمضان، 2016، صفحة 35) فالحديث عن وجود قوة خلاقة، أو سر ما يحكم هذا العالم هو اعتراف ضمني بوجود الله، ولعل أن ما منع موران من هذا الاعتقاد، هو اعتقاده في مبدأ الانتظام الذاتي والعلية الخطية كأهم مبدأ في أبستمولوجيا التعقيد، وهو المبدأ ذاته المستلهم من التنظيمات الحيوية، فمن جهة نجد موران يصرح بإلحاده ولا دينيته ومن جهة أخرى نجده يتحدث عن قوة خلاقة وعن سر يكمن وراء هذا العالم، والذي لا يمكن أن نعبر عنه سوى بالله الخالق الأمر الذي يطرح لنا مشكلة مدى انسجام لائينية موران مع مقولات أبستمولوجيا التعقيد.

6. لا دينية موران في مواجهة أبستمولوجيا التعقيد:

أشرنا في مطلع هذه الورقة إلى أن الموقف الديني لموران أو بالأحرى فلسفته اللائينية ترتبط ارتباطا وثيقا بمشروعه الأبستمولوجيا وما يحمله من مقولات، غير أننا عندما نتفحص تلك المقولات من جهة، وموقفه من الدين من جهة أخرى، نقف على بعض الاختلالات سواء على الصعيد الأبستمولوجيا أو في موقفه من الدين، فالتأثير الارتدادى — والذي هو واقع — بين المنتج والمنتج، كشف عن اهتزاز في الموقف الديني لموران من جهة، واختلال في التزامه بمقولات أبستمولوجيا التعقيد وعلى رأسها الحوارية من جهة أخرى.

ينحدر موران من أسرة أصولها يهودية، ومع ذلك يدعي أنه متحرر فكرياً وأنه لم يخضع لسلطة دينية وثقافية معينة، حيث يقول: "لم أتلق من أسرتي ومن والدي بالخصوص ثقافة معينة أو تعليماً دينياً أو سياسياً أو أخلاقياً"، (موران و رمضان، 2016، صفحة 136) غير أن هذا لا يجعلنا نغفل على حقيقة أنه نشأ وترعرع في بيئة اجتماعية شهدت هيمنة براديغم البدهة والوضوح، وتحذر مقولاته في المنظومة الفكرية والمعرفية للإنسان، حيث كان منطق التفكير والاختزال يمثل متكاً الإنسان في التفكير وبناء المعارف، لذلك ليس غريباً أن يتأثر موران ذاته بهذا المنطق في التفكير حتى وإن كان رافضاً له. ولعل أن هذا ما جعل موران يعيش نوعاً من الصراع الداخلي، يتجلى في إقراره من جهة بمقولات أبستمولوجيا التعقيد وعلى رأسها الحوارية، وفشله في الالتزام الكامل بهذا المبدأ من جهة أخرى، ما يعكس تعارض موقفه اللاديني مع هذه المقولات، حيث تقتضي الحوارية مثلما سبق الإشارة التعايش بين الأضداد والمتناقضات، بين القضايا والأفكار والمفاهيم المتضادة والمتناقضة، بين العلية الخطية والعلية اللاخطية، غير أن موران وإن كان يعترف بالعلية الخطية كشكل من أشكال السببية إلى جانب العلية اللاخطية، نجده بالمقابل يستبعد في تفسيره للوجود بوجه عام، ووجود الإنسان بوجه خاص، حيث اختزل تفسيره في العلية اللاخطية.

قاد انكار وجود الله موران إلى استبعاد العلية الخطية، واختزال تفسيره للوجود في العلية اللاخطية، مثلما استند إلى هذه الرؤية الاختزالية ذاتها لإنكار وجود الله، في حلقة دائرية وتأثير ارتدادي بين الاعتقاد في العلية اللاخطية وإنكار وجود الله، وهو بحق موقف يترجم مدى تجذر التفسير الذي قدمه العقل اليوناني للوجود، في العقل الأوروبي بوجه عام، وفكر موران بوجه خاص حيث كان "الفلاسفة اليونانيون جميعاً سواء كانوا مثاليين أو ماديين ينطلقون كلهم من الثابت الأساسي (لا شيء من لا شيء)"، (الجابري، 1980، صفحة 87) وهو التصور الذي ينسجم مع موقف موران في تفسيره لأصل لوجود ومن ثم موقفه من الدين، بوصفه يتحدث عن تشكل كوكبنا وعن النشوء المادي للحياة خلال عقود من الزمن تمتد إلى مليارات السنين، في تفسير يتماشى مع روح التزعة التطورية.

نعني بكلامنا هذا أن لا دينية موران مثقلة ومشبعة بروح التزعة التطورية، وهي التزعة التي ترتبط على نحو ما بمقولات أبستمولوجيا التعقيد، خاصة فكرة الانتظام الذاتي التي تفسر التطور من مستوى إلى مستوى أعلى، لذلك نجده يعتقد بأن الثورة التي أحدثها داروين، قلبت المفاهيم بما فيها فكرة العقل، الذي أضحى في نظره ثمرة للتطور وليس فاعلاً، حيث يقول في هذا السياق "حسب الكتب السماوية والعقل اللاهوتي إن عقل الله خلق العالم والحياة والبشر لكن منذ القرن 19 كان على العقل أن يتزل من السماء وأن يتعرض في عالم العلم إلى انخراط رهيب، ومع لامارك (Jean Baptiste Lamarck 1744-1829) وداروين (Charles Darwin 1809-1882)، حصل الانقلاب الكبير كان على كل شيء أن ينطلق من الأسفل من الحضيض كي يرقى ويتطور نحو الأعلى وأصبح العقل ثمرة المنشودة للتطور وليس الفاعل الأول للخلق"، (موران، 2012، صفحة 106) وبشيء من التأمل في هذا النص تتجلى الرؤية الاختزالية لموران بوضوح، أين اختزل العقل في التفسير المادي والتفسير العلمي كتفسير عقلاني، هذه الرؤية هي التي حجبت عنه القدرة على ادراك ذلك التعايش بين ما هو ميتافيزيقي وما هو مادي على الرغم من أنه

جعل من الحوارية مبدأ محوريا في أبستمولوجيا التعقيد، فضلا على أنه يرفع أصلا من أجل تجاوز التفسير الاختزالي والتبسيطي للأشياء. ولو اعتقد موران عمليا في العلية الخطية إلى جانب العلية اللاخطية في تفسيره للوجود لما انتهى به الأمر إلى الإلحاد بحكم أن ذلك يضع حدا للتسلسل السببي اللاهوائي.

ما يمكن أن يلاحظ على فكرة الانتظام الذاتي، والعية اللاخطية التي يتحدث عنها موران في أبستمولوجيا التعقيد، وبالصورة التي قدمها، هو أنها قد تصلح لتفسير ما هو موجود أي أنها يمكن أن تساعدنا على فهم ما يحدث في الواقع الاجتماعي، وما يحدث للإنسان سواء كفرد أو بوصفه انسان، لكنها تفشل في تفسير أصل الوجود وأصل الانسان ولعل أن هذا الفشل يظهر في التردد، الذي يظهر على موقف موران عند الخوض في هذه المسألة، وكأنه يعيش صراعا داخليا، مثلما أشرنا من قبل، فقد جاء في حوار له مع طارق رمضان، أنه قال: "...جاء التطلع العابر للتاريخ، وهو تطلع إلى عالم أفضل، هذا التطلع يجد تعبيره في الجنة، في الاسلام والمسيحية كذلك، بعد ذلك جاء التطلع إلى الشيوعية، لبناء مجتمع سعيد، هذا التمرد في كل انحاء العالم ليس تمردا على الظلم فحسب، كما انه لا يروم فقط تحقيق الكرامة بل يعبر عن تطلع إلى حياة أخرى وعالم آخر، أنا كذلك أشعر بهذه الحاجة الملحة، لكنني لا أنتمي إلى دين معين، ولا أعتقد في وجود إله"، (موران و رمضان، 2016، صفحة 36) لو نعمل على قراءة هذا النص من خلال الوسط الذي نشأ فيه موران، وهو الأسرة اليهودية والتي قال عنها إنها لم تلقنه أي ثقافة دينية يمكن أن نفهم هذا التردد، لأن اكتساب أية ثقافة لا يقتضي بالضرورة التلقين المباشر، فيكفي أن نعيش في وسط معين، حتى نتأثر ببعض أفكاره، ولو أننا كنا في أعماق أنفسنا رافضين لكثير من مظاهره الثقافية، وعلى هذا الأساس فإننا نكون أمام احتمالين، إما أنه اكتسب هذا التطلع إلى عالم آخر من أسرته، أو أنه شعور فطري يوجد في الانسان، وفي كلتا الحالتين يتعارض هذا الشعور مع اختزاله للوجود الانساني، في ما قدمته النظرية التطورية.

هذا ورد عليه طارق رمضان في هذا الحوار، بقوله: "سأعيد ما قلتكم...إنكم لا تنكرون هذا التطلع إلى الجوهر أو إلى ما هو روحي، أو إلى هذا السر الذي يحكم العالم"، (موران و رمضان، 2016، صفحة 36) هذا التطلع حسب طارق رمضان، إلى الجوهر والمعنى، يعبر عن الفطرة التي جبل عليها كل انسان أي أن موران حسبه يحمل بداخله ما يحدثه بخطاب يتعارض مع التفسير التطوري الذي يتبناه بل إنه في نظره يعترف ضمنا دون أن يصرح، وهذا بسبب اختزاليته مثلما سبق وأن قلنا، يقول طارق رمضان مخاطبا إياه في هذا الحوار: "لقد عبرتم عن ذلك بمحدثكم عن السر أو اللغز دون الحديث عن الله". (موران و رمضان، 2016، صفحة 37)

إلى جانب ما سبق وأن أشرنا إليه من تعارض بين ما ينظر له موران، وبين ما يتبناه هناك أيضا مظاهر أخرى تعبر على التردد والصراع الداخلي الذي يعيشه، وهو الصراع الذي رجحت فيه الرؤية الاختزالية تفسيره التطوري لوجود الانسان؛ منها أن موران يعترف بالسحر وبفاعليته في الواقع المحسوس، حيث يعرفه قائلا: "السحر نشاط عملي يؤثر في العالم التجريبي من خلال الرمز (إذ يعني امتلاك الاسم، والاسماء المتحكمة، والتحكم بمسمياتها) من خلال العالم التماثلي (ثقب صورة أو تمثال صغير بالإبرة لقتل الشخص الذي تمثله) ومن استحضار الأرواح والشياطين"، (موران، 2009، صفحة 55) ويقول

أيضا: "يستخدم السحرة قرينهم الخاص، وهم قادرون على تسخير الأرواح والجن لصالحهم"، (موران، 2009، صفحة 184) لأن الاعتقاد بقدرة الساحر على الاستعانة بالأرواح، أو الجن فيه اعتراف ضمني بوجود فضاء ما ورائي غيبي، يمكن أن يؤثر في ما هو موجود، أو بالأحرى الاعتقاد في وجود قوى غير طبيعية تؤثر في ما هو طبيعي، وهذا الاعتقاد يفترض أن لا يمنع من الاعتقاد في وجود قوة غير طبيعية أولى لا تدركها الأبصار أوجدت الوجود وهو يتحرك بعنايتها، ولا ريب أن ما منعه من ذلك هو الرؤية الاختزالية التي طبعت موقفه من الوجود، حيث يظهر أنه لا يرفض الفكرة من حيث هي فكرة، بقدر ما رفضها بناء على تفسير اعتقد أنه النموذج الصحيح أين اختزلت رؤيته لهذا الوجود في تفسير يتماشى مع روح التزعة التطورية.

7. خاتمة:

ما يمكن أن نخلص إليه من خلال هذه الورقة البحثية هو أن: — المشروع الأبستمولوجيا الذي ينظر له موران، والذي يتمثل في أبستمولوجيا التعقيد، يتضمن موقفه الأنطولوجي، أو بالأحرى يترجم موقفه من وجود الله وفكرة الخلق ومن ثم موقفه من الدين والإيمان، وفي الوقت ذاته تمثل فلسفته اللاينية متكاً وأساساً لهذا المشروع الأبستمولوجيا — هناك علاقة هوليغرامية بين لا دينية موران ومشروعه الأبستمولوجيا، حيث توجد فلسفته اللاينية في هذا المشروع الأبستمولوجيا، مثلما تتضمن فلسفته اللاينية روح أبستمولوجيا التعقيد. — لكن في الوقت ذاته وقفنا على حقيقة مفادها، أن موران حتى وإن كان يصرح بلادينية وإلحاده وعدم إيمانه بوجود الله الخالق، يعيش تردداً بينه وبين نفسه، تجلى في حديثه عن اللغز والسر الذي يحكم العالم، هذا السر الذي يتحرك العالم بعنايته، والذي لا يمكن أن يفسر إلا بالله. — لا دينية موران ناتجة عن اختزاله للعلة في العلة اللاخطية، فلو لم يكن اختزالاً في تقديمه للعلة اللاخطية على حساب العلة الخطية، وعدم التزامه الكامل بمقولة الحوارية، على الرغم من اعترافه النظري بالتعايش بين المتناقضات والمتضادات ومن بينها العليتين الخطية واللاخطية، لما انتهى به الأمر إلى الإلحاد ولكان موقفه من الدين مغايراً لما هو عليه اليوم، ولعل أن تشبعه بروح التزعة التطورية، هو الذي أفضى به إلى إعطاء الأولوية للعلة اللاخطية في التفسير.

8. قائمة المراجع:

- ادغار موران. (2004). *الفكر والمستقبل، مدخل إلى الفكر المركب* (المجلد ط 1). (أحمد القصور، و منير الحوجي، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال.
- ادغار موران. (2009). *النهج، إنسانية البشرية الهوية البشرية* (المجلد ط 1). (هناء صبحي، المترجمون) الامارات العربية المتحدة: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث.
- ادغار موران. (2009). *نحو براديعم جديد. رؤى تربوية* (29)، 120.
- ادغار موران. (2012). *النهج، معرفة المعرفة* (المجلد ط 1). (جمال شحيد، المترجمون) بيروت، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

- ادغار موران. (2012). *هل نسير الى الهاوية؟* (المجلد د ط). (عبد الرحيم حزل، المترجمون) لاردار البيضاء، المغرب: افريقيا الشرق.
- ادغار موران، و طارق رمضان. (2016). *خطورة الأفكار* (المجلد د ط). (محمد صلاح شياظمي، المترجمون) الدار البيضاء، المغرب: افريقيا الشرق.
- جوناث ويلز. (2014). *أيقونات التطور* (المجلد ط1). (موسى ادريس، أحمد ماحي، و محمد القاضي، المترجمون) مصر: دار الكتاب للنشر والتوزيع.
- عرفان ويلزمان. (2013). *التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا* (المجلد ط1). (حسن شا، و محسن هويدي، المترجمون) القاهرة، مصر: دار النيل للطباعة والنشر.
- محمد عابد الجابري. (1980). *نحن والتراث* (المجلد ط1). بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- 1-Morin, E. (1973). *Le paradigme perdu "la nature humaine"*. paris, france: Editions du seul.
- Morin, E. (1980). *La méthode "la vie de la vie"* (Vol. 1). paris, france: editions du seuil.
- Morin, E. (1999). *Les sept savoirs necessaires a l education du futur*. paris 7, france: L organisation des nation unies pour L education, la science et la cultur (u n e s c o).